دعوة إلى التواصل والحوار

الأستاذ عصام العطار

قرأتُ التعاليق على ما نُشِر لي في (العربية نت) وغيرها ، وهي تعاليق كثيرة فيها القبولُ والرفض ، والثقة والشكّ ، والحبّ والبغض ، والمدح والإشادة ، والقَدْح والشتيمة ..

قرأت هذا كله باهتمام وفهم ، وتقبّل وشكر ، فهو – إلى حدٍّ ما – صورة جزئية مصغّرة لواقع عالمنا العربيّ والإسلاميّ الراهن ، وما فيه من تشتّت وانقسام ، وتطرّف واعتدال ، وحبّ وبغض ، وعلم وجهل ، وإنصاف وظلم ، وصراع ظاهر أو خفيّ في مختلف المجالات ، في مرحلة مصيرية دقيقة رهيبة يغرق فيها تحت أعيننا مركبُ العالم العربيّ والإسلاميّ بكل من فيه وما فيه ، ونحن غافلون أو متغافلون ، مشغولون أو متشاغلون عن هذا الخطر الشامل القاتل الماثل على كل صعيد ، نستهلك حياتنا وأوقاتنا وطاقاتنا في نزاعاتنا وصراعاتنا التي لا تنتهي ، ولا نحاول بصدق وإخلاص ، ووعي وإنصاف ، وعزم وإصرار ، أن نتواصل ونتفاهم ونتعاون على إزالة أسباب الصراع والنـــزاع ، وعلى إقامة علاقاتنا على الأسس الصالحة والقواسم المشتركة التي تضمن لنا ولبلادنا الأمن والسلامة ، والحرية والكرامة ، والتقدّم المستمر ، وتجعلنا قلباً واحداً ، وصفاً واحداً ، وإرادة واحدة في مواجهة الطغيان الداخليّ والعدوان الخارجيّ الذي يواجهنا الآن ، في كلّ مكان ، من كلّ مكان ، بمختلف الصور والألوان

يجب أن تتسع صدورُ بعضنا لبعض ، وأن يقترب بعضنا من بعض ، وأن نسعى إلى تعارف أوثق ، ومعرفة أشمل وأعمق بواقعنا وواقع عالمنا وعصرنا ، حتى لا نصدر في علاقاتنا ومواقفنا عن جهل ، وعن أحكام مسبقة قد تكون خاطئة ولا أساس لها من الواقع

ويا أخي الذي رفضني وشتمني دون معرفة ، أو دون معرفة صحيحة ودقيقة بي :

– اشتمني ما شئت فإنني مُسامحُك من كلّ قلبي ، ولكن اسْمَعْني ، وقل لي أنت أيضاً ما تريد ؛ فلا بدّ لنا من أن نخرج بأنفسنا من القطيعة إلى التواصل ،

ومن الصراع العبثيّ العشوائي الهدّام إلى الحوار الجادّ المسؤول البنّاء ، ومن السلبية المؤذية العقيمة إلى الإيجابية والتفاهم والتعاون على القواسم المشتركة بيننا .. وما أهمها وأكثرها! ..

وينبغي أن يكون ذلك كلُّه بأقصى ما نملك من سرعة وجدٍّ وحزم ، فلا يجوز ولا يفيد أن نتحرك بسرعة السلحفاة في عصر تجري أحداثه وحوادثه بسرعة الصواريخ

وقديماً قال بعض أسلافنا ناقدين ساخرين ممن يتحركون ببطء فيضيعون ببطئهم هدف حركتهم ، فلا يصلون إلى البصرة إلا بعد « خراب البصرة » : { لا يصل الترياق من بلاد العراق إلاّ بعد أن يموت الملسوع ويستريح الراق[1] }

إنني من الذين يدعون باستمرار إلى التواصل والحوار البصير الصادق المسؤول على مختلف المستويات : حوار حكام وحكام ، وسلطة ومعارضة ، وأحزاب وأحزاب ، ومثقفين ومفكرين ، وسائر مكونات مجتمعاتنا الدينية والمدنية ، وسائر القوى الحيّة على كلّ صعيد ؛ فهذا الحوار الأمين المسؤول البنّاء ، وما يتلاقى عليه أطرافه أو معظم الأطراف من قواسم مشتركة وأهداف ، يشكّل تياراً قويّاً جامعاً موحّداً ينقذنا وينقذ بلادنا ، ويجنبنا ويجنب بلادنا كثيراً من الخلافات والنـــزاعات والصراعات التي تهدر قوانا وتنحرف بنا عن سواء السبيل ، ويؤثّر تأثيراً حاسماً في التغيير والتطوير والإصلاح ، وفي توجهات وتصرفات الحكومات الشعوب . وسيجد أكثر المتحاورين عندما يرتفعون على الأحقاد والأهواء ، والصغائر والتفاهات ، والمصالح الشخصية الصغيرة ، ويحتكمون إلى العلم والعقل والضمير ومصالح الأمة والبلاد العليا في هذه الظروف الإقليمية والعالمية المقلقة المنذرة ... سيجد أكثر هؤلاء أنّ بينهم بالفعل أهدافاً وقواسم مشتركة تلبي حاجاتهم المشروعة جميعاً ، ومصالحهم المشروعة جميعاً ، وتحقق لهم ما ينشده الواعون المخلصون لأنفسهم وأمتهم وبلادهم من الخير

(1) اقتبس هذه الكلمة من أدبنا الشعبي شاعر ألمانيا الكبير " جوته " في « الديوان الغربي الشرقي West-östlicher Divan »